Koroughlis of the regencies of Morocco, Symmetry and difference1519-1881(AD)

كراغلة إيالات المغرب، التماثل والاختلاف1519-1881م

مقصودة محمد

جامعة وهران، بن بلة1، الجزائر

histmak12@gmail.com

قدم للنشر في:2018-11-20 **قبل للنشر في:** 2019-02-12

المقدمة:

تنشد هذه الدراسة تسليط الضوء على أوضاع كراغلة إيالات المغرب العثمانية، من خلال عرض يتجاوز التاريخ القطري، كون هذا الأخير يقدم صورة مجتزئة مبتورة لخلوها من أبعاد التأثير والتأثر الخارجية المتدخلة في صياغة الحدث التاريخي المحلي، فضلا عن الظرفية المتجانسة الأبعاد والتي تحولت معها بلاد المغرب إلى موقع إستراتيجي عبر العصور، فكانت تحديات القرن السادس عشر الناجمة عن التغيرات الإستراتيجية التي طرأت على البنية التقنية للبحرية العسكرية الأوروبية، والتي لم يعد لبلاد المغرب القدرة على مواجهتها أو إحتواءمخاطرها...، دافعا لقيام تحالف سمح بدخول العثمانيين بكل ثقلهم إلى المنطقة، ومن ثم نشوء علاقات مصاهرة بين الوافدين والسكان المحليين نتج عنها ظهور فئة إجتماعية جديدة ارتبطت تاريخيا بالعثمانيين،هي جماعة الكراغلة التي إمتازت بخصائص إجتماعية استثنائية، وما ذلك إلا بفضل كونها فئة "وسط" تجمعها قرابة العمومة مع العثمانيين في نفس الوقت الذي يشدها نسب الخؤولة إلى السكان المحليين.

وعليه تأتي هذه الورقة لتبحث جملة من المسائل المرتبطة بأوضاع الكراغلة في الولايات المغاربية، على غرار ماهية العوامل والظروف التي صاغت تلك الأوضاع؟ ومظاهرها؟ و ما هي أوجه التماثل والإختلاف بينها؟ وهل مرجع العوامل والظروف التي أدت إلى إختلاف تلك الأوضاع أو تشابهها يعود إلى طبيعة العثمانيين والسلطة التي حكمت كل إيالة؟ أم إلى خصوصية المجتمع بما فيه فئة الكراغلة؟ أم إلى عوامل أخرى؟

سنحاول بداءة الوقوف على ملابسات وظروف التشكيل التاريخي لجماعة الكراغلة، لنتطرق بعدها لأهم معالم التشابه والإختلاف في أوضاع الكراغلة خاصة ما يتصل بعلاقتهم بثنائية السلطة والمجتمع وإنعكاسات هذا المعطى على مصير هذه الفئة مع نهايات الوجود العثماني في بلاد المغرب، وذلك وفق الخطة التالية:

1- كراغلة إيالات المغرب، التشكيل التاريخي والمركز الإجتماعي

2- كراغلة ولايات المغرب العثمانية، بين المشاركة و السلطة

3- أوضاع الكراغلة في خضم تحولات المشهد السياسي خلال القرن التاسع عشر(19م)

وفيما يلي بسط هذه المحاور ضمن إطارٍ تاريخي يحاول تغطية أهم الإحداث المرتبطة بفئة الكراغلةخلال الفترة قيد البحث.

1/ كراغلة إيالات المغرب، التشكيل التاريخي والمركز الإجتماعي :

لقد ترسخ نظام الحكم العثماني في إيالات المغرب عبر عدة مراحل عرف خلالها تطورات وأحداث سياسية، وإن لم تفارقه الصبغة العسكرية سواء في شكل السلطة نفسها، أو في علاقتها بالسكان، حيث توالت عدة أنماط من الحكم إتسمت بسياسة عدم التدخل في الحياة الخاصة للمجتمع[1] ، وقبل هذا كانت إيالة الجزائر منطلق تأسيس الحكم العثماني في بلاد المغرب منذ 1519م، فكان حكامها الأوائل من رجال البحرية الذين تميزوا بالقوة وإستطاعوا بسط نفوذهم إلى عدة مناطق واسعة، بما فيها طرابلس الغرب التي ضمت في 1551م ولاحقا تونس سنة 1554م[2]،حيث كان هاذين البلدين تحت حكم بيلربايات الجزائر[3]، قبل أن يتم حصر و إختزال سلطتهم على خلفية تعاظم قوتهم والتخوف من تطلعهم للإستقلال عن الباب العالي[4]، فكان قرار تقليص سلطتهم زمانا ومكانا، بحصرها على مستوى إيالة الجزائر وإسناد إدارة كل من تونس وطرابلس الغرب لبيلربايات جدد(باشوات) يتم تغييرهم كل ثلاث سنوات[5].وبطبيعة الحال فقد إنسحبإختلاف هذه الظرفية التاريخية على الأوضاع العامة لكل إيالة متأثرة في نفس الوقت بطبيعة المجال الجغرافي و خصوصيات النسيج الإجتماعي، فضلا عن الموروث التاريخي الذي رسخته الكيانات السياسية الآفلة قبل حلول العثمانين (بنو زيان، الحفصيين، المرينيين).

بهذا الخصوص تجدر الإشارة إلى أن عثمانيي إيالة تونس كانوا أكبر المستفيدين من النظم الموروثة عن الحفصيين خاصة في مجال الجباية والقضاء، وأليات السيطرة على الدواخل والتي يأتي على رأسها نظام المحلة[6] ذو الطابع العسكري والجبائي. وبالمقارنة بإيالة الجزائر يمكن القول أن نظام الحكم العثماني في تونس وطرابلس الغرب كان أقل تعقيدا من حيث الهيكلة وآليات إتخاذ القرار وإنتقال السلطة وتوزيع الصلاحيات. فخلال هذه المرحلة ساد نظام الدايات في الجزائر مقابل حكم الباياتالحسينيين في تونس (1705-1881م) والباشوات القرمانليين في طرابلس الغرب حتى (1711-1835م).

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2013،ص 118.

[2]- محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، دمشق، 1969، ص ص 54-57.

[3]- فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا، ط1،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2007. ص 548.

[4]-Boyer,Pierre, Introduction a une histoire intérieure de la Régence d'Alger, in R.H, Avril-Juin 1966, p 304.

[5]- عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد علي عامر،ط1،دار النهضة العربية، بيروت،1989، ص 772.

[6]- **المحلـة**: مؤسسة عسكرية وسياسية متنقلة، كانت تتمتع بنفوذ واسع وقوي في مجال الحياة الإقتصادية والأمنية بتونس التي ترسخت فيها تقاليد عمل المحلة منذ الحفصيين، يتكون جهاز المحلة من فرق عسكرية مختلفة على رأسها "قائد المحلة" تخرج لجمع الضرائب مرتين في السنة، حيث تتوجه شتاء نحو الجنوب خاصة بلاد الجريد لجمع التمور، وصيفا نحو الشمال لجمع القمح، وقد حافظ العثمانيون على هذه التقاليد منذ دخولهم تونس سنة 1574م. للمزيد أنظر:- محمد الصغير بن يوسف، المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي التركي، تحقيق وتقديم أحمد الطويلي، المجلد الأول، ط1، المطبعة العصرية، تونس، 1998، ص 11.

1-1 سياسة المصاهرة العثمانية في إيالات المغرب: لأن الدولة العثمانية هي جيش قبل كل شيئ، و الجند هو النواة الأولى للمجتمع الوافد، والمهيمن عسكريا وسياسيا، بل هو المؤسس فيما بعد للشرعية القطرية[7]، فقد كان لطبيعة علاقته بالمجتمع المحلي في كل إيالة مغاربية بعيد الأثر على أوضاع ومستقبل مؤشرات الحياة العامة (السلطة، المجتمع، شبكة العلاقات الإجتماعية).

ولعل من أهم مظاهر العلاقة بين العثمانيين و سكان بلاد المغرب، ظاهرة المصاهرة التي تشكل مدخلا ممتازا لفهم طبيعة الوجود العثماني، خاصة إذا علمنا أن سياسة المصاهرة عند العثمانيين في المناطق المفتوحة عرفت تطورات مهمة منذ عهد السلطان مراد الأول (1362-1389م) الذي كان يمنع زواج الإنكشارية، ثم جاء إمتداد النفوذ العثماني لشمال إفريقيا في مرحلة كانت السلطنة تعرف فيها تراجعا واضحا عن هذا القانون المضاد للفطرة البشرية، ورغم ذلك فقد خضعت هذه الآلية الإجتماعية المهمة لبعض الإعتبارات، خاصة في إيالة الجزائر التي يذكر فونتير دو بارادي أن العزوبية كانت شرطا لمن يريد القدوم إليها[8]، ومعنى هذا ان الإتجاه العام الإتجاه العام للعثمانيين كان يشجع العزوبية في الجزائر توجسا من تداعيات إرتباط الجنود بالأسر المحلية، ومدى تأثير ذلك على أدائهم وولائهم.

بالمقابل كان العثمانيون في إيالتي تونس وطرابلس الغرب أكثر إنفتاحا وإقبالا على مصاهرة الأسر المحلية دون تجاوز القدر الذي تنحل به عصبيتهم[9]. فيما يرجع بعض المؤرخين أسباب هذا التغاير في سياسة المصاهرة إلى طبيعة الظرفية التاريخية التي حدث فيها إستقرار العثمانيين ببلاد المغرب، وكذا طبيعة الإنكشارية المستقدمين لكل إيالة، فبعض المصادر تصف إنكشارية الجزائر بأنهم الأكثر عنفا والأسوأ خلقا مقارنة بإنكشارية تونس وطرابلس الغرب، مثل ماذهب إليه أحد البحارة الروس الذين زاروا الجزائر سنة 1787م، ولخص إنطباعه حول أوجاق الجزائر قائلا:" الميليشيا تتفوق على ميليشيا تونس وطرابلس بعنفها وسوء أخلاقها"[10].

هذا بالإضافة للأهمية الإستراتيجية وخصوصية إيالة الجزائر سواء بالنسبة للسلطنة أو الحكام العثمانيين المحليين، وهو الأمر الذي دفعهم للمحافظة على تفوقهم العسكري مقارنة بتونس وليبيا، وعلى إبقاء صلات التعاون وتبادل المصالح مع الدولة العثمانية التي تضمن للجزائر الدعم العسكري وتسمح لها بتجديد حاميتها و عتادها الحربي الذي يقوم عليه إستقلالها وسيادتها[11]. وهكذا فقد إنسحب هذا التغاير في طبيعة سياسة المصاهرة التي إتبعها العثمانيون في إيالات المغرب على نتاج هذه العلاقة الإجتماعية المتمثل في فئة الكراغلة المولدون[12]، سواء من حيث أوضاعهم العامة أو مختلف الأدوار التي إضطلعوا بها.

---

[7]- توفيق البشروش، جمهورية الدايات في تونس 1591-1675، نشرمجموعة أيام الناس، تونس، د.ت.ن.ص 44.

[8]- Venture (De Paradis), Tunis et Alger, au 18 siècle, bib, Arabe sandbad, Paris, 1983.p35.

[9]- توفيق البشروش، مرجع سبق ذكره، ص 46.

[10]-Canard.M, Un Description de la cote Barbaresque au XVIII siécle par un officier de la marine Russe, in R.A, N°95, 1951,p121.

[11]- سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وأفـاق، ط2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 177.

[12]-خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، 1988، ص ص 124-125. وأيضا: - فون مالتاسهاينريتش، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا،ج2، ترجمة أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980 ص 325.

2-1 إنعكاسات سياسة المصاهرةعلى المركز الإجتماعيللكراغلة:ففي حين عانى كراغلة الجزائر من التهميش والإستبعاد من طرف الأباءالإنكشارية[13]، وإندماج ضعيف في النسيج الإجتماعي، الأمر الذي أضعف معنوياتهم وأثر على أدائهم الجمعي بل ودفعهم للقيام بما يمكن أن نصطلح عليه " بالدور السلبي" في تاريخ الإيالة، متجسدا في شكل ثورات وتمردات منذ عهد الباشوات ضد مواقف الإنكشارية والحكام العثمانيين، ذلك أنه لو قدر لكراغلة الجزائر واقعٌ ومعطيات على غرار نظرائهم في الإيالتين المجاورتين لكان الحال غير الحال كما خلص إلى ذلك المؤرخ أبو القاسم سعد الله بقوله"..." ...ولو نجح الكراغلة لتغير وجه التاريخ الجزائري ، ولوجدنا الحكم فيها أكثر التصاقا بالشعب وأكثر اهتماما بمصالحه وأكثر ارتباطا بقيمه الحضارية، بل لتوقعنا أن يتحول الحكم شيئا فشيئا إلى حكم (وطني) مستقل"[14]. وهو نفس المعنى الذي ذهبت إليه عديد الدراسات التي خلصت إلى أن فئة الكراغلة في الجزائر وبدل أن تكون أحسن تعبير عن الإندماجوالإنسجام بين العثمانيين والمحليين فقد تحولت "بفعل" موقف الأباء و "ردفعل" الأبناء إلى أكبر تعبير عن حالة التشظي والانشطار الاجتماعي و الأنثروبولوجي بين الأتراك الحاكمين وأبناء الجزائر المحكومين، لأنهم (أي الكراغلة)نتاج ضعيف لزيجات نادرة وصورة اجتماعية بائسة من صور ذلك الامتزاج القليل للبعض وليس للكل، كما حدث في أقاليم وولايات عربية أخرى[15].

وبالمقابل غلب طابع المرونة سواء من المجتمع من خلال إتساع دائرة المصاهرات أو من فئة الكراغلة،على مواقف العثمانيين في تونس وطرابلس الغرب ، ولا أدل على ذلك من السماح لهذه الفئة الإجتماعية الجديدة بالإنضمام لسلك الجندية إبتداءً ثم بوراثة المناصب العامة[16]دون تسقيف، ما أهلهم لإحتلال مركز إجتماعي متقدم ومن ثم الإنتقال لوضع المكون الإجتماعي الفعال والمؤثر.

و لعل أهم إمتياز حظي به الكراغلة في إيالة تونس هو السماح لهم بالمشاركة في تسيير شؤون المحلة التي إضطلعت بمهمة ترسيخ الحكم العثماني في الدواخل، كما لعب هذا الجهاز دور المؤسسة العسكرية والسياسية(المتقلة) ذات النفوذ الواسع والقوي في مجال الحياة الإقتصادية (عن طريق الجباية) والأمنية[17]، والتي بفضلها تمهد الطريق لمراد باي الكرغلي (1628-1631م) بصفته قائد المحلة بالظهور على مسرح الأحداث في تونس تمهيدا لتولي مقاليد السلطة بداية سنة 1637م، فكان ذلك قاعدة التأسيس لحكم الأسر الكرغلية بعد أن نجح البايات في حسم الصراع بين مؤسستي الداي (الممثل للسلطان العثماني) والباي

---

[13]- حمدان خوجة، المـرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، م.و.ن.إ، الجزائر، 2005، ص ص 116-119.
وأيضا: -Venture de Paradis, op.cit. p118.

[14]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981،ص 149.

[15]- سيار الجميل، تكوين العرب الحديث، ط1، دار لشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 1997، ص 215. وأيضا:-
- Boyer (P), le problème Kouloughli dans la régence d'Alger, in R.O.M.M, n° spécial (N°8) 1970,p87.

[16]- محمد الصغير بن يوسف، مصدر سبق ذكره، ص ص 127- 129. وأيضا:- توفيق البشروش، مرجع سبق ذكره، ص 47.

[17]- محمد الصغير بن يوسف، مصدر سبق ذكره، ص ص 38-40.

قائد المحلة لصالح هذه الأخيرة، ومن ثم إعادة بناء المركزة السياسية في إيالة تونس بمشاركة العناصر المحلية الفاعلة والتي شكل المجتمع الحضري بأطيافه المختلفة قاعدتها الإجتماعية[18].

وغير بعيد عن تونس إستفادكراغلة طرابلس الغرب من السماح لهم بالإنخراط في صفوف الجيش ووراثة مناصب آبائهم الإنكشارية، وهو سلوك جرى التمهيد له من خلال الإقبال الكثيف للإنكشارية على مصاهرة سكان البلاد، الأمر الذي سمح بظهور أجيال من الكراغلة، شكلت قاعدة إجتماعية قوية تحولت مع الزمن إلى جماعة ضغط مؤثر في الحياة العامة[19] مستفيدين من قرابتهم للعنصرين المحلي والعثماني[20]،فشكلوا بوتقة إمتزج فيها العنصرين التركي والمحلي(بما فيه العربي والأمازيغي) لدرجة لم يبقى معها لبعض العوائل من الصبغة التركية سوى الإسم، وهو ماسمح ببروز شخصيات كرغلية قوية تركت بصماتها في تاريخ الإيالة الطربلسية،منها أحمد بك القرمانلي الذي ينتهي نسبه إلى أحد الجنود الإنكشارية المتطوعين ضمن أوجاق الغرب والذي إستقر في طرابلس وتزوج من إحدى نسائها العربيات[21].

2/كراغلة ولايات المغرب العثمانية، بين المشاركة و السلطة:

كرس التفاوت في المركز الإجتماعيلكراغلة إيالات المغرب إختلالات طالت خاصة أوضاع ومستقل هذه الفئة، وقد تكرست هذه الحالة بشكل متزايد منذ بداية القرن الثامن عشر وحتى نهاية القرن التاسع عشر متأثرة بالتغيرات التي أفرزها الغزو الإحتلالي الأوروبي في المشهدين السياسي والإجتماعي.

وفي إيالة الجزائر دعمت سلطة الدايات إستقلال البلاد تجاه الباب العالي، فكان قرار الديوان سنة 1711م"إيقاف"إستيراد الباشوات من إسطنبول خطوة مهمة في هذا المسار، وبالمقابل لم يؤثر نظام الدايات على جوهر ونواة السلطة التي بقيت بيد الأتراك المتمسكين بنقاوة أصلهم، والحريصين على إضفاء الطابع العسكري دون أدنى إنفتاح، بإعتباره الضمانة الأساسية لبقاء السلطة في ظل مفاضلة وعزلة المجتمع الذي لم يعد يربطهم به سوى رابط إقتصادي (الجباية) بعد ترهل الرابط الديني بفعل تحرر الثغور خاصة بعد تحرير وهران سنة 1792م.

أما عن أوضاع كراغلة الجزائر في خضم هذه المعطيات، ففيما يتعلق بالمشاركة ضمن قوات الإيالة لابد من الإشارة إلى إستمرار العمل بمبدأ عدم توريث المنصب من الأب إلى الإبن كما هو معمول به في كل من طرابلس وتونس[22]، مما جعل الإهتمامات السياسية خارج حسابات العائلات الجزائرية. فكان الباعث الأساس لطلب خدمات الكراغلة في صفوف الجيش من طرف الدايات، يرتبط بتغطية النقص بعد تأخر وصول مجندي الأناضول أو عقب كوارث صحية أو طبيعية. ونفس الأمر

[18]– عبد الحميد هنية، مرجع سبق ذكره، ص 128. وأيضا – محمد بيرم الخامس، صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار،ج1،المطبعة الإسلامية ، القاهرة، 1885، ص 133.

[19]–إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح حتى سنة 1911م، ترجمة خليفة محمد التليسي،ط2، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1991،ص 323.

[20]– محمد شاكر مشعل، الشمال الإفريقي والعثمانيون ليبيا العصر العثماني الأول 1551–1711، د.د.ن،1985، ص 130.

[21]– لوران شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة وتحقيق محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط3، 1994، ص 263.

[22]– جون وولف، الجزائر وأروبا1500–1830، ترجمة وتحقيق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر،2009، ص 389.

يمكن رصده بالنسبة لمؤشري الإندماج والتراتب الإجتماعيين، وذلك في ظل رفض العثمانيين إندماجهم في أوساطهم، وبسبب الخصوصية الإثنيةللكراغلة، فإن هذا الموقف خلق "مشكلا" على حد تعبير بيار بوير[23]، أثر على الحياة السياسية والإجتماعية لمجتمع إيالة الجزائر منذ عهد الباشوات. فرغم أن أغلب الكتابات التاريخية ترتب الكراغلة في الصف الثاني ضمن فئات المدن المستفيدة من الوجود العثماني، إلا أن مستوى الإندماج بين الطرفين كان من الضعف لدرجة الإستحالة إلى صراع بسبب طموح الكراغلةللإستفادة من خصائصهم العثمانية (الأصل، اللغة، المذهب...)، مقابل إصرار العثمانيين على المحافظة على وضع الأقلية المتنفذة والطابع التركي الخالص، موقفٌ دفع كراغلة الجزائر إلى إعادة التموقع الذهني والنفسي بالتميز عن الأوجاق وتشكيل فئة إجتماعية جديدة، ذات خصائص وميزات أنثربولوجياوإجتماعية كان لها بالغ الأثر في تحديد هويتها و مكانتها الاجتماعية حتى أن من الباحثين من جعل هذه الوضعية سببا في معاناة الكراغلة من عُقدِ نقص إجتماعية وسيكولوجية[24]، وهو الشعور الذي يعممه بعض المؤرخين حتى على كراغلة الإيالتين المجاورتين خاصة في إيالة تونس التي كان الحسينيون فيها يقدمون أنفسهم كأتراك، لدرجة أن حسين بن علي كان يلقب نفسه بالتركي، ربما لأن هذا النسب كان مؤسسا للنفوذ ومشرعا له[25].

بالمقابل فقد تميز الكراغلة في تونس وطرابلس الغرب بالقدرة على الإندماج و التحالف مع القبائل المحلية[26]، الأمر الذي أثر إيجابا على اوضاعهم وحقق لهم مكاسب سياسية كبيرة، إفتقدهاكراغلة الجزائر الذين غلبت عليهم نزعة آبائهم الإنعزالية[27]مما أضعف تأثيرهم ودورهم على المدى الطويل، بل ودفعهم مع نهايات الوجود العثماني إلى الركون للسلطة الزمنية (العثمانيين) حفاظا على إمتيازاتهمالإقتصادية وفي ذات الوقت ممارسة سلوك الإنعزال والنبذ تجاه المجتمع حتى أصبح الجزائري ينظر للكرغليبشكل لايختلف عن نظرته للأتراك الحاكمين.

بالنسبة طرابلس الغرب فقد عمد العثمانيون إلى تشكيل جيش من العناصر المحلية بما فيهم الكراغلة[28]، وبذلك تزايد الحضور الكرغلي ضمن الجيش بصورة فعالة محسنا من تراتبية هذه الفئة التي ستفرز أسرة حاكمة. ومن جهة أخرى فقد إندمجالكراغلة في المجتمع الليبي لغة وطباعا وعادات بحيث لم يعد لهم من الصبغة التركية سوى الإسم[29].

أما في تونس فقد إستفادالكراغلة من حالة الإندماج بين الأهالي والجنود الإنكشارية الذين تزوج كلهم أو أغلبهم بالتونسيات[30]، وحيث أن المهمة الأولى للإنكشارية كانت منحصرة في المسائل العسكرية ولم يكن أمرائهم يتدخلون في الشؤون الإدارية خاصة مع بدايات الوجود العثماني، فقد منح هذا الوضع للكراغلة فرصة المشاركة والتدخل شيأفشيأ في تسيير الشأن العام، فبرز منهم

23- Boyer,Pierre. Le problémeKoulougli,op.cit.p80.

24- سيار الجميل، مرجع سبق ذكره، ص 215.

25- عبد الحميد هنية، مرجع سبق ذكره، ص 156.

26-هاينريتش فون مالتسان، في رحاب طرابلس وتونس عام 1869، ترجمة عماد الدين غانم، م .ج .ل.د .ت، طرابلس،2007. ص ص 255-256. وأيضا:- إحمد بن إبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية ، تنفيذ الدار العربية للكتاب،ج2، تونس، 1999. ص 107.

27-Gaid Mouloud, Chronique des beys de Constantine, OPU,Alger,1978pp22-23.

28- تيسير بن موسى،المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب،1988 ص 23.

29- لوران شارل فيرو، مصدر سبق ذكره، ص 349.

30- محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، تقديم حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي،ط1، دار الغربالإسلامي،بيروت،1986، ص 226.

أمراء في المحلات والأوطان على غرار مراد باي وحمودة باي مؤسسي الحكم المرادي[31]، وصولا إلى حسين بن علي الكرغلي (حكم من 1705 إلى 1735م) مؤسس الأسرة الحسينية التي احتكرت السلطة، وكان من أوليات سياستها أن عمدة إلى إدماج الكراغلة في صلب الجهازيين العسكري والإداري، منتقين منهم خاصة الذين ليس لهم كبير شأن و لا يشكلون مصدر خطرا، فأخرجوهم من حياة الخمول ورفعوا منزلتهم[32].

وإذا علمنا أنا حسين بن علي المؤسس كان قبل وصوله لأعلى هرم السلطة يتولى منصب أغا الصبايحية(قائد الفرسان) وقبلها أسند إليه منصب الكاهية، علمنا مدى المساحة التي كانت متاحة أمام كراغلة تونس للإنخراط والترقي في الجيش، كما تجدر الإشارة إلى فارق مهم بين إيالتي تونس وطرابلس الغرب في هذا المجال، ويتعلق الأمر بإتجاهالقرمانليين نحو إضعاف مركز الإنكشارية مقابل تقوية حضور فئة الكراغلة في الجيش عدة وعددا، لكن وبالمقابل نجد أن الحسينيين وإن تقاسموا مع القرمانليينالإتجاه نحو الإعتماد على العناصر الحلية إلا أنهم لم يستهدفوا طائفة الإنكشارية في الجيش بحيث إستمرالإعتماد على خدماتها وحضورها الفعال.

ورغم أن إبن أبي الضياف حاول التقليل من أهمية الدور الذي لعبه الإنكشارية خاصة بداية العهد الحسيني إلا أن من الباحثين من يخالفه الرأي، فبرغم سيطرة الحسينيين على مقاليد الحكم إلا أن التركيبة الإجتماعية والسياسية التونسية آنذاك كانت تقضي بأن لا نفوذ لمن العنصر التركي ليس بجانبه، فقد كانت الإنكشارية تشكل القوة الضاربة[33]والمنظمة الوحيدة التي بإمكانها إحتواء العناصر المحلية وتطوير الجيش بفعل رسوخ تقاليد الإندماج والتعايش لدرجة بقاء الأسرة الحسينية محتفظة بطابعها التركي إلى حد ما، سواء في طريقة حياتها أو من خلال الإعتماد على الإنكشارية وإتباع المذهب الحنفي مع توسيع الإنفتاح على الكراغلة وأبناء القبائل خاصة في مجال النظام والأمن الداخليين، دون إلغاء حضور الإنكشارية في الجيش للإستفادة من خبرتهم في تطوير هذه المؤسسة المهمة بعد تطعيمها ومزج كادرها البشري بالكراغلة والمماليك والمحليين، ومستعينين في ذات الوقت بمؤسسة المحلة التي يسيطر عليها الكراغلة في بسط النفوذ نحو الدواخل والأطراف[34].

3- إنعكاسات سياسة العثمانيين على أوضاع الكراغلة: كان لتحسن مركز الكراغلة الرسمي والإجتماعي في الإيالتين المجاورتين مطلع القرن الثامن عشر إنعكاس مباشر على نظرائهم في الجزائرتجسد في شكل تمردات ومشاركات في كل ما من شأنه إضعاف مركز الإنكشارية، فكانت البداية مع ثورة الكراغلة في بايلك الغرب، والتي كان منطلقها ومركزها مدينة تلمسان ونواحيها، بحيث استمرت الاضطرابات حتى سنة 1766م، وتخللت فترة حكم ثلاث دايات[35]، فيما يبدو أن سبب تزعم بايلك الغرب ومنطقة تلمسان تحديدا لهذه الثورة مرجعه إنهاك كراغلة مدينة الجزائر ونفي معظمهم من المدينة صوب منطقة واد الزيتون بعد أحداث سنة 1633م المشهورة، وإن كان جمهور المؤرخين يرون أن حركة الكراغلة سنة 1748 كانت أعم وأشمل

[31]- فاضل بيات، مرجع سبق ذكره، ص ص 582-583.

[32]- محمد الهادي شريف، تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ إلى الإستقلال، تعريب محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993. ص 83.

[33]- عبد الحميد هنية، مرجع سبق ذكره، ص 158.

[34]- روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزي، ج1، القاهرة، 1993، ص ص 629-630.

[35]- هؤلاء الدايات هم إبراهيم خوجة (كوجوك أو كوشوك) 1745-1748م ، محمد بكير باشا 1748-1754، وعلي باشا 1754-1766.

من سابقاتها، رغم نقص التنظيم والتواصل، بدليل إستشعار الداي إبراهيم كوجوك(1745-1748) بل تيقنه بوجود تنسيق وإتصال بين الكراغلة في وهران والجزائر وتلمسان لأجل قلب نظام الحكم ماجعله يصمم على إبادة الكراغلة الموجودين بدار السلطان لو لم يعاجله الموت[36].

وقد تواصلت حركات الكراغلةالمناؤئة لأركان السلطة العثمانيةخاصة طائفة الإنكشارية، فكان أخطرها أحداث سنة 1817م التي قادها الداي علي خوجة ضد هذه الأخيرة بهدف إصلاح النظام القديم، مستعينا في ذلك بالكراغلة الذين تمكنوا من القضاء على حوالي 1200 جندي و150 ضابط، فيما أعلن الداي الجديد للبقية شروطه المتمثلة في إحترام سيادته[37]حتى يمارس كامل صلاحياته، مع تعهد بإحسان معاملة المطيعين، أما الذين لاتروقهم إجراءات الإصلاح فلهم حرية مغادرة البلاد بعد أن قرر عدم الإعتماد على الإنكشارية في عملية التجنيد. فكان من نتائج إعلان علي خوجة عن سياسته الجديدة أن غادر حوالي مائتي(200) إنكشاري بعوائلهم البلاد نحو تونس و طرابلس والأناضول[38].

ويبدو أن إنقلابا في النظام السياسي للإيالة كان في طريقه للتحقق، بحيث تكون أولويته الكف عن الإعتماد على العناصر التركية لصالح أبناء البلد، لولا أن الوقت كان متأخر جدا على مثل هذا الخيار الذي إنتهجته إيالتي تونس وطرابلس الغرب منذ أوائل القرن السابع عشر ورسخته خلال القرن الثامن عشر. فكان من أهم نتائجه إرساء نظام حكم كرغلي سلالي حرص من منذ البداية على إكتساب الشرعية من خلال إشراك أبناء البلد في تسيير الشأن العام، الأمر الذي أفرز طبقة حاكمة ذات محتوى إجتماعي وسياسي جديد، وهي طبقة متألفة من عناصر أهلية بالدرجة الأولى تمكنت من أن توحد البلاد إجتماعياوإقتصاديا وإداريا تحت سيطرتها، مما ولّد لديها شعور أن مصلحتها تكمن في الدفاع عن النظام الجديد، مع المحافظة على علاقة أدبية ودينية بالعنصر التركي(العثمانيين) سواء على مستوى الإيالة أو الباب العالي.

من جهة أخرى فإن تدقيق الأوضاع العامة في النيابتين يفضي إلى ملاحظة تتعلق بمدى إستفادة إيالة تونس من هذه التحولات خاصة على مستوى السلطة والمجتمع، حيث كانت أعمق وأشمل مقارنة بطرابلس الغرب. هذا ما تؤكده عدة شواهد أهمها تبني الكراغلةالحسينيين لسياسة تحديثية إصلاحية عكستها مختلف مظاهر الحياة العامة، فضلا عن الإصلاحات الإدارية والقانونية التي جاءت بوثيقة "عهد الأمان"[39]سنة 1857 على عهد الباي محمد باشا، وهي الوثيقة التي منح بموجبها الأمان والمساواة لسائر أهل الإيالة أجانب وأصيليين.

---

[36]- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.، ص 222.

37- Pananti (Filippo), relation d'un séjour à Alger, le Normant, Paris, 1820..p411.

[38]-Boyer. Pierre, Des Pachas Triennaux à la révolution d'Ali KhodjaDey1571-1817, in RH.N°244 , 1970, pp101-103.

[39]-للإشارة فإن عثمانيي إيالة الجزائر كانوا سباقين إلى إصدار القوانيين الأساسية والوثائق المنظمة للعلاقة بين مختلف فئات المجتمع، إذ قبل صدور قانون عهد الأمان لسنة 1749م، كانت إيالة الجزائر قد عرفت قانونا مشابها صدر سنة 1657م على عهد الباشوات والذي جاء لينظم علاقات المصاهرة بين الإنكشارية والسكان . إلا أن السلطة العثمانية في إيالة الجزائر وبسبب إنغلاقهاوإنعزالها وطبيعة إنكشاريها العدائية، لم تستطع ان ترتقي بوثيقة عهد الأمان إلى رتبة الدستور المنظم لشؤون الحياة والعلاقات بين فئات المجتمع ومختلف مؤسسات الدولة في بعدها الحداثي والإنساني، وهو ما سيقوم به الكراغلةالحسنييونسنة1857م، إذ يمكن إعتبار إصدار وثيقة عهد الأمان في إيالة تونس من أوليات وأهم الأحداث الدستورية والقانونية التي شهدها العالم العربي في العصر الحديث، ورغم أنها جاءت بضغط من قنصلي كل من فرنسا (ليون روش) وإنجلترا (ريتشارد وود) إلا أنها عكست تطورا ونقلة في منظومة

و في عهد الصادق باي(1859-1881م) وبإيعاز من الوزير خير الدين باشا[40]جرى تعديل منشور عهد الأمان وترقيته إلى دستور أعلن عنه يوم 1861/04/24م، حيث تضمن الدستور الجديد إرساء النظام الملكي الدستوري في البلاد وفقا لمبدأ الفصل بين السلطات، وإقامة النظام البرلماني وتأسيس مجلس تشريعي له سلطة واسعة منها حق خلع الأمير إذا خالف بتصرفاته أحكام الدستور، كما نظمت الإدارة المركزية والإدارات المحلية تنظيما عصريا، وسن قانون جديد يضمن للفلاحين حقوقهم[41]، وهو مايجعلنا نعتبر هذه الوثيقة الدستورية أول دستور بالمعنى الحديث عرفه العالم الإسلامي، إنبثقت عنه إصلاحات إجتماعيةوإقتصادية وقضائية منها إنشاء مجالس الجنايات والأحكام العرفية[42].

لكن وفي المقابل تجدر الإشارة إلى أن هذه الإصلاحات الدستورية وعلى أهميتها إلا أنه لم يكتب لها النجاح بسبب الأزمة المالية الخانقة[43].وبالإنتقال لإيالة طرابلس الغرب نجد ان الكراغلةالقرمانليين أخفقوا كسلطة زمنية في ترسيخ تقاليد نظام حكم مستقر، فضلا عن عدم النجاح في تبني وإقامة نظم سياسية وإقتصاديةوإجتماعية تستطيع إستيعاب خصوصيات المجتمع ذو الطابع القبلي، والدواخل الممتنعة. فيما يتفق يتفق معظم المؤرخين على أن سنة 1790م كانت بداية تدهور سلطة القرمانليين ومعها اوضاع طرابلس العامة.

كان السبب الرئيس وراء هذا التدهور تسرب الشقاق للبيت القرمانلي من خلال تنازع السلطة قصد إحتكارها، وهو ما أدى إلى ضعف عصبيتهم وفق ماأشار إليه إبن خلدون، من كون الدولة إذا إستقرت وتمهدت قد تستغني عن العصبية[44]، ورغم نجاح يوسف باشا (1795-1832م) في رأب الصدع غلبةً بعد الإستيلاء على السلطة سنة 1796م، إثر خلاف عائلي دموي، ثم تعزيز هذا الموقف بالحصول على فرمان التعيين[45]، إلا أن الأوضاع الإقتصادية المتردية نتيجة التراجع الحاد في موارد الإيالة ومطالبة الدول الأوروبية ليوسف باشا بتسديد ديونه، شكل تحديا كبيرا أضعف سلطة القرمانليين وفتح الباب أمام التمردات الداخلية والأطماع الخارجية. فكانت الإجراءات الضريبية التي أثقلت كاهل السكان خاصة أهالي طرابلس سببا كافيا لعودة الفوضى والحركات المناوئة، وهي تدابيرٌ رفضها حتى الكراغلة ووجدت فيها القبائل المتربصة والمناطق المعادية[46]لحكم القرمانليين فرصة سانحة للإطاحة بهم.

الحكم والعقلية المجتمعية، من خلال إيجاد إطار يضمن مبدئيا حقوق الأفراد ويسوّي بينهم حتى في مجال الخدمة العسكرية والإلتزامات المتعلقة بها، كما مهدت الطريق للدستور الذي سيعلنه الصادق باي سنة 1861. وقد إشترك الوزير إبن أبي الضياف في صياغة بنود عهد الأمان مستلهما الكثير من إتجاهاته من التنظيمات الخيرية التي صدرت الدولة العثمانية سنة 1839م. للمزيد حول ظروف صدور عهد الأمان وأهم بنوده أنظر:- أحمد إبن أبي الضياف، الإتحاف، ج4، ص ص 231-233. وأيضا:- محمد بيرم الخامس، مصدر سبق ذكره، ج2،ص ص 436-445 وص 388.

[40]- للمزيد حول هذه الشخصية وأثارها أنظر:- خير الدين التونسي، مصدر سبق ذكره، ص ص 31-81.

[41]- تامر الحبيب، الحبيب تامر ، هذه تونس، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948ص 23.

[42]- عبد الحميد هنية، مرجع سبق ذكره، ص 212.

[43]- أحمد إبن أبي الضياف، الإتحاف ، ج4، ص 144.

[44]- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة ، ط1، دار الفكر، بيروت لبنان،2004،ص 169.

[45]- للمزيد حول الموضع راجع:- توللي ريتشارد (الآنسة)، عشر أعوام في طرابلس، ترجمة عبد الجليل الطاهر، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، 1976 ص 366 ومابعدها. وأيضا:- بن إسماعيل عمر علي، إنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795-1835م، ط1، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1966، ص 47 ومابعدها. – أحمد إبن أبي الضياف، الإتحاف،ج3، ص 29 ومابعدها. – ميكاكيرودلفو، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، ترجمة طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1961، د.ت،ص132ومابعدها.

[46]- بغني عمرو سعيد، أبحاث في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1996، ص 23 ومابعدها.

يحلل الباحثون أوضاع طرابلس في تلك المرحلة على أساس توافق وترابط عدة عوامل عجلت بنهاية القرمانليين، يأتي على رأس هذه العوامل العجز المالي(العامل الإقتصادي) الذي وقع فيه يوسف باشا تحت ضغط بريطانيا وفرنسا لدفع ديون رعاياهما[47]، مما ألجأه لفرض ضرائب جديدة على السكان لتعويض العجز أمام شح الموارد. لكن حالة الفقر العام التي عمت مناطق البلاد خلقت نوعا من السخط على طريقة أداء القرمانليين وكشفت ترهل نظام حكمهم الذي أصبح محل مختلف الأطماع الداخلية والخارجية.

وأمام هذه الأخطار المحدقة[48] وخوفا من ضياع إيالة طرابلس على غرار ماحدث للجزائر سنة 1830م، وتحقيقا للرغبة القديمة في إسترجاعها من يد القرمانلين[49]، أرسل السلطان العثماني محمود الثاني الذي كان يراقب تطورات الأوضاع في ليبيا، أسطول مكون من 22 سفينة وقوات برية مكونة من حوالي 3500 مسلح بقيادة مصطفى نجيب باشا، حيث نجحوا في النزول بأراضي طرابلس بتاريخ 27ماي1835م فسيطروا على القلاع والحصون، وإعتقل مصطفى نجيب قائد الحملة علي باشا أخر الولاة القرمانليينوإثنين وثلاثين من مقربيه ونفوا إلى إسطنبول[50].

إن البحث في الأسباب الجوهرية الكامنة وراء إنهيار حكم القرمانليين مقارنة بصمود الحسينيين في تونس رغم تشابه المخاطر الداخلية والخارجية، يحيل إلى البحث في الظروف التاريخية التي بلورة إيالة طرابلس الغرب، والتي حالت دون تطور هذا البلد خلال العهد القرمانلي بما يحفظ لهذا النظام إستمراريته وللبلد إستقرارهوإستقلاله، فرغم أن الأسرة القرمانليةإكتسبت طابعا وطنيا إذ أبعدت الأتراك وأحلت اللغة العربية وأسندت المناصب إلى أبناء البلد[51]إلا أن مكمن الإخفاق عند القرمانليين يبدو في عدم القدرة على بناء دولة تعتمد على المؤسسات أكثر من إعتمادها على الأفراد والحكم المطلق، فرغم وجود جهاز الديوان وتطور أدائه الإداري من خلال إستحداث المناصب السامية(الوزراء) وولاة الأقاليم، إلا أن الممارسة المطلقة للسلطة من طرف الباشا عطلت صلاحيات الديوان وتحول معها إلى مجرد جهاز إداري صوري دون أية سلطة رقابية أو تنفيذية، وهو ما يفسر إنعدام أي تطور للنظام السياسي القرمانلي، هذا بالإضافة إلى إفتقاد إيالة طرابلس للمؤسسات الدينية والسياسية والإقتصادية الراسخة التي من شأنها أن تحفظ الدولة في حال إنهار النظام السياسي وهي الميزة التي إختصت بها تونس منذ العهد الحفصي وكان لها دور كبير في المحافظة على كيان الدولة رغم عديد الأزمات.

---

[47]- لوران شارل فيرو، مصدر سبق ذكره، ص 422. وأيضا:- الفقيه حسن، حسن، اليوميات الليبية، تحقيق محمد الأسطي وعمار جحيدر،ط2، جزءان، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،ليبيا، 2001 ، ج1، ص ص 597-598.

[48]- تشير المصادر التاريخية إلى أن بريطانيا وعن طريق قنصلها(وارنجتون) لعبت دورا كبيرا في تأجيج وتوجيه الأحداث التي عرفتها طرابلس وإنتهت بنهاية القرمانليين. للمزيد راجع:- إتوري روسي، مرجع سبق ذكره، ص ص 410-414. وأيضا:- لوران شارل فيرو، مصدر سبق ذكره، ص 449 ومابعدها.

[49]- عبد الجليل التميمي، مسألة إلحاق طرابلس الغرب إلى تونس سنة 1834م، المجلة التاريخية المغربية، العدد4، جولية1975، ص 134.

[50]- عمرعلي بن إسماعيل، مرجع سبق ذكره، ص 313.

[51]- بروشين نيكولاي إيليتش، تاريخ ليبيا في العصر الحديث من منتصف القرن 16م حتى مطلع القرن 20م، ترجمة وتقديم عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، بيروت لبنان، 2001،ص 10.

كما لعبيت طبيعة المجال الجغرافي المترامي الأطراف، والذي تستحوذ عليه قبائل كثيرة قل أن تستحكم فيها سلطة المركز[52] دورا في ترهل سلطة المركز،وهو مايفسرإنهيار النظام القرمانلي تحت ضغط الإنقسام الداخلي وإنعدام التضامن بين أفراد الأسرة الحاكمة، حتى غدى الغدر والشك والريبة أساس العلاقة بينهم[53]، وأمام هذه المعطيات ماكان للدولة القرمانلية أن تعمر أكثر مما عمرت وبات زوالها حتما مقضيا، وهو ماكان على يد الدولة العثمانية التي أسرعت لإستعادة حكم طرابلس الغرب وفوتت بذلك الفرصة على دول أوروبا المتربصة إلى حين.

4/أوضاع الكراغلة في خضم تحولات المشهد السياسي خلال القرن التاسع عشر(19م):

عرفت بلاد المغرب خلال القرن التاسع عشر تحولات جوهرية شكلت نتائج مباشرة وغير مباشرة للحالة الذهنية والنفسية التي باتت عليه مجتمعاتها، والتي أدت بدورها للهجمة الإستعمارية الرأسمالية .

ففي طرابلس الغرب ومع عودة الحكم العثماني المباشر تأثرت أوضاع فئة الكراغلة من خلال عديد الإجراءات التي حدة من نفوذهم ومركزهم خاصة في الجهازين السياسي والعسكري، فقد كان من أهم تدابير العثمانيين إعادة التجنيد من المشرق، مما أثر على التركيبة البشرية للجيش، وأضعف سيطرة الكراغلة عليه، حيث نظم الباب العالي عدة حملات تم خلالها تزويد طرابلس بالعساكر الإنكشارية في مسعى لتقوية الشوكة والعصبية التركية من جديد[54].

أما أهم ملاحظة بخصوص أوضاع كراغلة ليبيا بعد نهاية القرمانليين، فتتعلق بعدم تسجيلنا أي مواقف خاصة بالكراغلة أخذت شكل صراع ضد الحكم العثماني الثاني على شاكلة ما عرفته إيالة الجزائر، وإن كان هذا لاينفي مشاركة الكراغلة في ثورة القبائل العربية ضد العثمانيين ومطالبتهم بعودة القرمانليين خاصة بعد قيام الولاة العثمانيين بحل تنظيمات الكراغلة ورفع الإعفاء الضريبي عنهم، وكرد فعل تحالف الكراغلة مع ثورات القبائل الناقمة على الوضع الجديد، وعلى رأسها ثورة الشيخ غومة المحمودي[55].

وبالنسبة لكراغلة إيالة الجزائر فقد وجدوا أنفسهم في وضع لايحسدون عليه بسبب شبكة العلاقات الإجتماعية المختلة التي ربطتهم بباقي فئات المجتمع، والتي أدى حدث الإحتلال إلى إعادة تشكيلها على ضوء الواقع الجديد[56]، الذي ورغم كونه يشكل سانحة لإعادة التموقعالإجتماعي إلا أن الكراغلة أصروا في خضمه على المحافظة على نفسيتهم المتعالية إيثارا للمصالح الضيقة[57]مما عرضهم لسخط وهجمات بعض القبائل[58] الناقمة على كل ما يرمز للعثمانيين.

---

[52]- بخوص هذه الظاهرة عقد إبن خلدون في المقدمة فصلا عنونه " فصل في أن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة"، فالسلطة التي تسوس مجتمعات قبلية غالبا ما يصعب عليها ضبطها بسبب إختلاف المصالح وتضاربها، ما يؤدي إلى الإنتقاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت، وإن كانت ذات عصبية. للمزيد انظر:- عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سبق ذكره، ص 178.

[53]- عمر علي بن إسماعيل، مرجع سبق ذكره، ص 327.

[54]- علي عبد اللطيف حميدة وأخرون، مابعدالإستعمار والقومية في المغرب العربي، ترجمة جمعة عمر بوكليب،ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2014.

[55]-للمزيد حول شخصية غومة المحمودي أنظر: فاضل بيات، مرجع سبق ذكره، ص 570.

[56]- ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، الكويت، 2000 ص ص 106-109.

[57]- أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادرالجزائري1808-1847،ط1، ش.و.ن.ت، الجزائر،1983،ج1، ص 97. وأيضا:-
- Boyer(P) :"Le problème kouloughli….", op.cit, p93.

[58]-Rozet (M) et Carette (E), Algérie états tripolitains, éd bouslama, Tunis, 1980. pp77-78.

وهكذا وفي ظل غياب السلطة العثمانية والمضايقات التي تعرض لها الكراغلة جراء الإفتقاد لسلطة مركزية محلية تجمع القبائل وتوجه جهودها نحو الخطر الجديد،إختارالكراغلة التعاون مع الجيش الفرنسيومعاداة كل أشكال المقاومة الداخلية للإحتلال.

والحقيقة إن دراسة أوضاع الكراغلة خلال هذا المرحلة الدقيقة من تاريخ الجزائر تحتاج مساحات أوسع، تلقي الضوء بعمق على أوضاع وعلاقات جميع الفاعلين والمتدخلين في المشهد العام للجزائر حينها. ويكفي هنا أن نؤكد على الطابع المعقد للمشهد الداخلي في البلاد. وفيما يتصل بموضوعنا فإن من تجليات هذا التعقيد موقف الكراغلة العدائي من مقاومة الأمير عبد القادر في غرب البلاد ووسطها، في الوقت الذي كان فيه كراغلة قسنطينة وتحت إمرة الحاج أحمد باي الكرغلي ينظمون مقاومة شرسة للحد من توغل الإحتلال الفرنسي في شرق البلاد[59].

الخاتمة: من خلال ما أمكن بسطه في إطار المساحة المتاحة نخلص لمجموعة الإستنتاجات الموجزة التالية :

– تماثلت أوضاع إيالات المغرب منذ القرن السادس عشر، في ظل الوجود العثماني خاصة في مجال التبعية للسلطة، وإن إختلفت آليات هذه التبعية. وفيما يتعلق بأوضاع فئة الكراغلةبوصفها أحد إفرازات الوجود العثماني فقد إختلفت تبعا لخصوصية كل إيالة، حيث أن عاملي طبيعة السلطة والمجتمع المحلي، اللذين تأثرا بدورهما بالظرفية التاريخية والمجال الجغرافي، لعبا دورا مهما في صياغة وبلورة أوضاع كراغلة كل إيالة.

– لأن الكراغلة هم نتاج علاقات المصاهرة بين العثمانيين والمحليين فقد تأثرت هذه الظاهرة الإجتماعية أي المصاهرة بالظروف التاريخية والمحلية، فكان الإنكشارية في إيالتي تونس وطرابلس الغرب أكثر إقبالا عليها مقارنة بالجزائر التي خضعت فيها المصاهرة لحساباتِ سياسية ومصلحية، أطرها ميل عثمانيي الجزائر للإنغلاقوالإنعزال ضمن عصبية ممتازة.

– مقارنة بكل من تونس وطرابلس الغرب، كانت تركيبة السلطة العثمانية في إيالة الجزائر الأكثر تعقيدا إذ لم تتأسس على تمازج إرادة الصفوة والنخبة من الوافدين و المحليين، ولا على الإرادة الشعبية التي تم إستبعادها، ولا على الهيمنة المتأتية عن الوراثة السلالية على غرار الحسينيينوالقرمانليين، بل كانت مجرد تركيبة هجينة من عدة سلط تمارس نفوذا عسكريا ودينيا وروحيا، وهوما إنعكس بشكل جلي على أوضاع كراغلةإيالة الجزائر خاصة في خضم المتغيرات الجوهرية التي عرفتها المنطقة خلال القرن التاسع .

مصادر ومراجع البحث باللغة العربية:

[59]- للمزيد حول الموضوع راجع : ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2000ص ص 242-243. وأيضا: – ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وأفاق، مرجع سبق ذكره، ص. – ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، مرجع سبق ذكره، ص ص 228-231. – محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ط2، ج1، دار الوعي، الجزائر، 2015،ج1، ص 167 و ص 192 ومابعدها.

-إبنإبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية ، تنفيذ الدار العربية للكتاب، الأجزاء الثاني و الثالث والرابع، تونس، 1999.

- إبن خلدون عبد الرحمان، المقدمة ، ط1، دار الفكر، بيروت لبنان،2004.

- البشروش توفيق، جمهورية الدايات في تونس 1591-1675، نشرمجموعة أيام الناس، تونس، د.ت.ن.

- ألتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد علي عامر،ط1،دار النهضة العربية، بيروت،1989.

- بروشين نيكولاي إيليتش، تاريخ ليبيا في العصر الحديث من منتصف القرن 16م حتى مطلع القرن 20م، ترجمة وتقديم عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، بيروت لبنان، 2001.

- بغني عمرو سعيد، أبحاث في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1996.

- بن إسماعيل عمر علي، إنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795-1835م، ط1، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1966.

- بن الخوجة محمد، صفحات من تاريخ تونس، تقديم حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي،ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1986.

- بن يوسف محمد الصغير، المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي التركي، تحقيق وتقديم أحمد الطويلي، المجلد الأول، ط1، المطبعة العصرية، تونس، 1998.

- بن موسى تيسير ،المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب،1988 .

- بيرم محمد (الخامس)، صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار،ج1،المطبعة الإسلامية ، القاهرة، 1885.

- توللي ريتشارد (الآنسة)، عشر أعوام في طرابلس، ترجمة عبد الجليل الطاهر، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، 1976.

- التميمي عبد الجليل ، مسألة إلحاق طرابلس الغرب إلى تونس سنة 1834م، المجلة التاريخية المغربية، العدد4، جولية1975.

- التونسي خير الدين(مقدمة محمدالحداد مقدم الكتاب)، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2012.

- الجزائري محمد بن عبد القادر ، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ط2، ج1، دار الوعي، الجزائر، 2015.

- جون وولف، الجزائر وأروبا1500-1830، ترجمة وتحقيق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر،2009.

-حرب أديب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادرالجزائري1808-1847،ط1، ش.و.ن.ت، الجزائر،1983.

- الحبيب تامر ، هذه تونس، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948.

- خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، 1988.

- خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، م.و.ن.إ، الجزائر، 2005.

- روسي إتوري ، ليبيا منذ الفتح حتى سنة 1911م، ترجمة خليفة محمد التليسي،ط2، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1991.
- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981.
- سعيدوني ناصر الدين، ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2013.
- سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وأفـاق، ط2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
- سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
- سعيدوني ناصر الدين ، عصر الأمير عبـد القادر، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، الكويت، 2000.
- سيار الجميل، تكوين العرب الحديث، ط1، دار لشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن،1997.
- شريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ إلى الإستقلال، تعريب محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993.
- علي عبد اللطيف حميدة وأخرون، مابعدالإستعمار والقومية في المغرب العربي، ترجمة جمعة عمر بوكليب،ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2014.
- الفقيه حسن، حسن، اليوميات الليبية، تحقيق محمد الأسطي وعمار جحيدر،ط2، جزءان، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،ليبيا، 2001.

- فارس محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، دمشق، 1969.
- فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا، ط1،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2007.
- فون مالتاسهاينريتش، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا،ج2، ترجمة أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر.1980.
- فون مالتسانهاينريتش، في رحاب طرابلس وتونس عام 1869، ترجمة عماد الدين غانم، م .ج .ل.د .ت، طرابلس،2007.
- فيرو لوران شارل، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة وتحقيق محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط3، 1994.
- الميلي مبارك بن محمد،تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.
- مانتران روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزي، ج1، القاهرة، 1993، .
- مشعل محمد شاكر، الشمال الإفريقي والعثمانيون ليبيا العصر العثماني الأول 1551-1711، د.د.ن،1985.
- ميكاكيرودلفو، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، ترجمة طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1961، د.ت.

مصادر ومراجع البحث باللغة الأجنبية :

- Boyer ,Pierre , le problème Kouloughli dans la régence d'Alger, in R.O.M.M, n° spécial (N°8) 1970.
-Boyer,Pierre, Introduction a une histoire intérieure de la Régence d'Alger, Ruvue historique, Avril-Juin1966.
-Canard.M, Un Description de la cote Barbaresque au XVIII siécle par un officier de la marine Russe, in R.A, N°95, 1951.
-Gaid Mouloud, Chronique des beys de Constantine, OPU,Alger,1978.
- Pananti (Filippo), relation d'un séjour à Alger, le Normant, Paris, 1820.
- Rozet (M) et Carette (E), Algérie états tripolitains, éd bouslama, Tunis, 1980.
- Venture (De Paradis), Tunis et Alger, au 18 siècle, bib, Arabe sandbad, Paris, 1983.

histmak12@gmail.com